الحياة الأدبية في المغرب الأقصى

للأستاذ ع . ك

... أما وقد قرأت في مجلة (الرسالة) الغراء مقالين : أحدهما عن « الحياة الأدبية في دمشق » بقلم الأستاذ علي الطنطاوي ، والثاني عن الحياة الأدبية في بغداد بقلم عبدالوهاب الأمين ، ورأيت من صاحبيهما التبرم والتشكي من ضعف الحياة الأدبية كل في بلده ومن تصوير مظاهر الضعف في هاته الحياة التي كادت تزري بتقدم البلاد من النواحي الأخرى ؛ أما وقد قرأت هذا فيحسن بي أن أضم صوتي الى أخوي الدمشقي والبغدادي ، فأكتب كلمة عن الحياة الأدبية في المغرب ليعرف الاخوان والقراء أيضاً أن المغرب قد اغترف غرفة مما غرفت منه دمشق وبغداد ، وأن المغرب شريك القطرين العربيين في هذا الضعف المزري بهما

إذا نظرنا الى المغرب الحديث وأنعمنا النظر في ناحية من نواحيه المهمة ، تلك هي الناحية الفكرية والعلمية ، وأردنا أن نسبر غورها بمسبار لنعرف مدى ما بلغته من الرقي والانحطاط ، من القوة أو الضعف ، من النهوض أو الجمود ، إذا أنعمنا النظر في هاته الناحية استطعنا أن نخرج بنتيجة لا ترضي . . . تلك النتيجة هي في — صراحة — أن المغرب الأقصى يتخبط في ديجور من الجهل قاتم ، وفي بساطة فكر مفرطة ، وفي خمود وجمود لم يسبق لهما مثيل في عصوره التاريخية . اذا تساءلنا هل هناك حركة فكرية أو علمية تسود المغرب الأقصى حتى يجتلي من ورائها ما يزيح به هاته الظلمة التي تغمره من أقصاه إلى أقصاه وحتى تكون حداً فاصلاً بين هاته « الفترة » وبين الحياة العلمية المترقية وذهبنا ، نلتمس الجواب عن هذا السؤال بالنظر في المغرب والبحث عن مظاهر هاته الحركة حتى وصلنا الى مهد حركاته العلمية في عصوره السالفة الى « كلية القرويين » التي انجبت فطاحل علماء المغرب ، استطعنا أن نخرج بالنتيجة الآتية وهي : إن هاته الحركة التي نبتغي البحث عنها وعن مظاهرها هي شيء لم يوجد حتى الآن ، بل هي حلم لذيذ يطرق أفكارنا كطيف الخيال ، غير أن هناك شبح حركة علمية تغذيها كلية القرويين ونظامها الجديد ولكن . . على حال مشوهة لا ترضي ولن ترضي — إذا بقيت الحال كما نرى — فاذا ما أطلقنا عليها « حركة علمية » فقد عرضنا أنفسنا لظلم الحقيقة والتاريخ

هذه كلمة مجملة أبنا فيها ضعف الحياة العلمية في المغرب وقدمناها بين يدي كلمتنا عن الحياة الأدبية لنعرف السبب الرئيسي لضعف الحياة الأدبية المغربية والعنصر الوحيد الذي يكون هذا الضعف ويمده بسبب منه ... وإذا بحثنا عن الحياة الأدبية المغربية ، أعني وسط الأديب المغربي لنرى هل هو وسط راق أو منحط . . وهل هناك ما يسمى بالحياة الأدبية حقاً ، لم نجدها أحسن حالاً من الحياة العلمية ، بل نجدها أضعف منها وأحط بكثير ؛ ولم نجد هناك مايطلق عليه هذا الاسم ويسمى بالحياة الأدبية . فهذه ناحية تنقص المغرب من جملة النواحي التي تنقصه وتزري به وتظهره في العالم العربي أشل .. ننظر إلى العالم العربي ونقيس المغرب بجانبه فيظهر لنا البون الشاسع بين حياته الأدبية وحياة العالم العربي ، فهذه المطابع الشرقية تظهر علينا من حين لآخر بعشرات الكتب الجديدة الأدبية والعلمية بأقلام أدباء شرقيين وخاصة في مصر ، فأين هي آثار المطابع المغربية من ذاك ؟ وأين هي المجهودات الأدبية للأدباء المغاربة أمام مجهود الشرقيين على العموم والمصريين على الخصوص ؟ ! . . وهذا العالم العربي يطلع علينا كل يوم بمئات الصحف والمجلات الأدبية والعلمية ويظهر فيها من المقدرة على البحث الأدبي والانتاج العلمي ما ينبئنا بقوة حياته الأدبية وبلوغها أوج الكمال ، فأين هي الصحف والمجلات المغربية الأدبية ؟ وأين هو انتاج المغاربة الأدبي وبحثهم العلمي ؟ وهذه الأندية الادبية في الشرق تخرج لنا كل يوم محاضرات قيمة تغذي بها أفكار الناشئين وتكون فيهم روحاً أدبية تعينهم على مضاعفة جهودهم حتى يبلغوا المستوى اللائق بأمتهم ، فأين هي الأندية الأدبية المغربية وأين هي آثارها نحو الناشئة المغربية . . ؟

إنا لنبحث عن عوامل تكون هاته الحياة الأدبية المنشودة

فى الكتب والمجلات والأندية فلا نجد أثراً لهذه العوامل نفسها ، فما هو سبب هذا الضعف فى حياتنا الأدبية . . . ؟ ؟ إذا بحثنا عن السبب فى ضعف هاته الحياة بل فى اضمحلالها لم نجده ينحصر فى سبب واحد أو اثنين ، ولكنها أسباب تتراكم على من بحث عنها وقلب بين جوانبها وسنذكر أهمها فى هذه الكلمة

١ — ضعف التعليم

هذه ناحية مهمة وسبب قوى ، بل سبب رئيسى لضعف الحياة الأدبية فى المغرب ؛ فالتعليم هو قوام كل حياة ، وإذا بحثت فى الشعب المغربى وأحصيت مقدار المتعلمين وجدت عددهم لا يزيد على خمسة فى الألف من شعب عدد سكانه يربو على خمسة ملايين . وهذا القدر الضئيل من المتعلمين يرجع إلى عدم وجود المدارس الكافية فى أنحاء الشعب المغربى . أما مدارس الحكومة فهى على قلتها لا تضمن للمتعلم أى مستقبل ولا توجه نظره لأية جهة ، فضلاً عن عدم اعتنائها باللغة العربية وعلومها . فلم يبق بين أيدينا سوى كلية القرويين التى يتكفل برنامجها الجديد بتخريج أدباء بل أساتذة فى الأدب العربى — وهم الذين تخرجوا فى القسم العالى الأدبى — وهؤلاء يمكن أن نعلق عليهم الأمل فى بعث حركة أدبية فى المغرب ، لولا ما ينقص هذا القسم من عدم وجود أساتذة أكفاء يقومون بالمهمة التى نيطت بهم

إذن فأين هو الوسط الذى تنمو فيه هاته الحياة الأدبية وتزدهر ؟ إذا لم يكن وسط المتعلمين فأى وسط ؟ ؟

٢ — الصحافة

من عوامل بعث الحركات الأدبية ، بل جميع الحركات ، الصحافة . ومن البر بالأدب ألا ننسى فضل الصحافة عليه وعملها فى بعث الحياة الأدبية فى الأقطار العربية . فهذه مصر زعيمة الشرق العربى تتخذ الصحافة أداة لترويج سوق الأدب ونفاقه ، فاليها يرجع الفضل الكبير فى نقل نتائج الحركة الأدبية المصرية إلى الأقطار الشرقية الأخرى . فلننظر فى الحياة الأدبية المغربية ، ولنر حظها من الصحافة ، وعمل هذه الأخرى فى تكوينها وبعثها

المغرب الأقصى من جملة الشعوب التى لم تحظ حتى الآن بصحيفة — أدبية أو علمية — سوى جريدة (السعادة) لسان الحكومة الرسمى وناشرة أخبارها ومقرراتها . ويرجع هذا الفقر الصحفى فى المغرب إلى القانون الجائر الذى وضع للصحافة بالمغرب ، إن صح لنا أن نسميه قانوناً [1] . وقد أنشئت صحف فى منطقة النفوذ الاسبانى فطوردت فى منطقة النفوذ الفرنسى [2] . نعم هناك مجلة علمية تصدر شهرياً فى تطوان باسم « المغرب الجديد » فعليها نعلق آمالنا فى بعث الحياة الادبية فى المغرب . أما « مجلة المغرب » التى تصدر شهرياً فى رباط الفتح ، فليس يعنيها من الناحية الأدبية والعلمية شىء ، وإنما يهمها — الخبز والتعليم — على حد تعبيرها . فاذا علمنا هذا الفقر الذى يعانيه المغرب من الصحف والمجلات ، استطعنا أن ندرك بسهولة سبباً من الأسباب القوية فى خمود الحركة الأدبية فى المغرب . أما ما نسمع فيه الحين بعد الحين من طنطنة أدبية فيرجع الفضل فيه إلى الصحف الشرقية ، وللمجلة « الرسالة » الحظ الأوفر فى ذلك

٣ — المشارع الأدبية

لسنا نعنى بالمشارع الأدبية سوى تلك الحفلات التى يقيمها جماعة من الأدباء لتكون مسرحاً لمباراتهم الأدبية وحافزاً لهم على القول والكتابة ؛ وهى من دواعى النشاط الأدبى والانتاج الفكرى ورثها العرب الخلف عن سلفهم الذين كانوا يقيمون أسواقاً سنوية لقرض الشعر وانشاده ، فقد حدثنا الرواة كثيراً عن أسواق العرب فى الجاهلية وما أنشد فيها من شعر وأدب . ولقد اتبع هذه السنة أدباء العربية اليوم فأخذوا يقيمون الحفلات المتوالية لبعث الحركة

(١) يتضمن قانون الصحافة فى المغرب ، والعربية منها بالخصوص ، أنه لا يمكن إصدار جريدة أو مجلة عربية إلا بعد الحصول على الاذن من الصدر الأعظم (رئيس الوزارة) وله الرجوع فى هذا الاذن فى أى وقت شاء ، ولرئيس الجيش الأعلى تقديم تقرير بمنع الصحيفة فيتبع أمره بلا استثناء . هذا وعلى الخارجين عن قانون الصحافة عقوبات فادحة من شأنها أن تصرف الناس عن طلب الصحافة . ويلاحظ أن هذا القانون إنما هو صورى فقط . وإلى الآن لم يتمتع المغرب بأية صحيفة رغم مطالبات عديدة

(٢) قسمت المطامع الأجنبية المغرب إلى ثلاث مناطق (١) المنطقة السلطانية أو منطقة النفوذ الفرنسى (٢) المنطقة الخليفية أو منطقة النفوذ الأسبانى (٣) المنطقة الدولية

الأدبية واحيائها ؛ فهم بينا يحتفلون بالعلماء الأحياء الذين قطعوا مفازة كبيرة فى الجهاد العلمى ، إذا بهم يحتفلون بالأموات تقديراً لمجهوداتهم الأدبيـة أو العلمية أو غيرها . وفى هذه الحفلات الأدبية ترى ألسن الشعراء والخطباء تتنافس فى جيدِ القول ، وكفى بهذا فائدة للحياة الأدبية

وإذا نظرنا الى المغرب الأقصى وأردنا أن نعرف ما يؤديه لحياته الأدبية من ناحية هذه المشارع لم نجد له أى عمل فى ذلك ، وهذا ما سبب لحياته الأدبية هذا الضعف وهذا الجمود ، وأوقعه فى هذه الأزمة الأدبية التى يعانيها ويذوق من أجلها الأمرين . نعم حاول بعض الأدباء أن يخطوا بالمغرب خطوة فى هذا السبيل فكان من آثارهم حفلة ذكرى الأربعين لخالد الذكر « أحمد شوقى بك » وحفلة الذكرى الألفية لأبى الطيب المتنبى (أقيمت بفاس فى ٢٥ رمضان الفارط) وهى خطوة حميدة فى هذا الباب كان لها أثر أدبى جميل . غير أن هذا العمل الضئيل الذى قام به هؤلاء الأدباء لا يكفى فى بعث الحركة الأدبية وإيقاظها ، إذ هو لم يعدُ حفلتين كانت أولاهما منذ ثلاث سنين أو تزيد ، وأخراهما فى هذه السنة ؛ وإنما الذى تتطلب أن تكون هناك حفلات أدبية منظمة يتكفل بها أدباء مغاربة حتى يستطيعوا أن يكونوا حياة أدبية وأن يبعثوها من مرقدها . وقد حاول طلبـة القرويين مراراً أن ينشئوا جمعية أدبية علمية يكون من أهم أغراضها تأسيس ناد لهذه الغاية نفسها فلم يظفروا بذلك من الحكومة

٤ — البخل على الأدب

وهذا سبب آخر قد يكون وصمة فى جبين الحياة الأدبيـة المغربية ومانعاً من الموانع التى تعوقها عن التقـدم وتدفعها نحو الضعف والجمود ، ذلكم السبب هو البخل على الأدب ، أعنى عدم وجود الناشرين لهذا الأدب الذى نود أن يبعث . فمن دواعى النشاط الأدبى أن يجد الأديب الذى يقف قسطاً من حياته على تأليف كتاب أدبى أو نظم ديوان شعر ناشراً يبرز مجهوداته إلى الوجود ويخرجها إلى الناس ليعرف مقدار عمله ، ويكون ذلك مشجعاً له على المضى فى سبيله والمغاربة — مع شديد الأسف — ليس فيهم من يشفق على هذه الحياة الأدبية ، وينظر إليها بعين العطف والحنان فيقف قسطا من ماله على نشر الكتب الأدبية والدواوين الشعرية ، أو يقدم جائزة — مثلاً — لمن يؤلف كتاباً فى الأدب ، مع أن فيهم الأغنياء الذين يستهلكون ثروتهم فى شهواتهم فقط . وكما لا يوجد أفراد من هذا النوع فى الوسط المغربى لا توجـد هناك شركات تجعل موضوع تجارتها نشر الكتب الأدبية المغربية . ولست أدرى لذلك من سبب سوى عدم الاشفاق على الأدب المغربى . أما لو وجد الناشرون لبرز شطر من الأدب المغربى المحبوء ، ولتكونت حركة أدبية فى المغرب ، فلعل السبب الوحيد الذى يدعو الشعراء المغاربة لعدم نشر دواوينهم هو فقدان هاته المساعدة المادية . فهذا شاعر الشباب الأستاذ محمد علال الفاسى يود أن ينشر ديوانه (روض الملك) ولكن أين هو الناشر ؟

هذه جملة الأسباب التى تعين على ضعف الحياة الأدبية فى المغرب أجملنا القول فيها اجمالاً ، لنعلل فقط هذا الضعف المزرى بحياتنا الأدبية ، وليظهر للقارئ السبب الداعى لجمود الحركة الأدبية فى المغرب . . . . .

(فاس — المغرب الأقصى) ع . ك

أصدرت مكتبة الجيب

الرحيـــل

قصة امرأة ينقصها فى الحياة الرجل
ورجل يعوزه الايمـان بالحياة
تلاقيا مع الصبح وافترقا عند الغسق
فى البسفور الجميل

لمحمود البـــدوى

فى مكاتب القاهرة وثمنها قرشان
ويرسلها المؤلف مع كتابه الثانى « رجـــل » نظير خمسة قروش بأجرة البريد وعنوانه ١٠ شارع الأمير بشير بالحلمية الجديدة مصر